وزارة الاعلام
دائـــرة الاعلام الداخلي
رقم الاجازة ١٤٤٦
تاريخها ١٩٨٧/١٠/٤
عدد النسخ ٦٠,٠٠٠ عشرة آلاف نسخة فقط
تعتبر الاجازة ملغاة بعدم طبعة واحدة

وزارة الثقافة والاعلام

٨٧/١٠/٤

نفض غبرة عن جبين الشمس

مطبوعات

وزارة الثقافة والاعلام

مصطفى عكرمي

قد ينفرج من تكشيرة الايام فجر بسمة
ويفترّ في تجهم الحياة ثغر تبسّم
والقلوب كالعشب الأخضر ترتقب النسمة العذبة والهبّة الرطبة
تروّح بها نفسها ساعة بعد ساعة ..

وكان هذا المهرجان احدى تلك السوانح المزدانة بالزهر والثمر ضمت وجوهها نيّرة تلتقي على موعد من الحق والخير والجمال فليس في الوجود بضاعة كالمعرفة رقّت وتنزهت ثم صفت وشفّت في سموها وقدسيتها وبهائها. فاذا أجهد المكابر قدرته في الغمور على ما هو أكرم من المعرفة المكتسبة تناهى به الجهد الى الاشراف الذي يتوخاه المتشغل بما وراء الطبيعة حيث يكتشف الكُنْهُ للبصيرة بلا واسطة فاذا أبصر وعاين واستبان فقد أضاف الى المعرفة زيادةً غضةً محسوبةً لها لاعليها وفضلَ غلّةٍ يكتالها العبيدُ المرهيل. ولو بلغت العبقرية بالأمعي الموزعي فقر في سائر الأحياء على وسائل للوعي تعين فهمها الغريزيَّ على مصاعب البقاء لشكرنا سجيه وأكبرنا كشفه رافداً لمجمل العلم كان خافياً، فقد يأتي جهبذ العلم بانتكار وسيلة في طوايا المجهول تترجم أعاجيب البُهم الى لغة مفهومة في قاموس البشر فليس بالمعرفة عرفضم أو تصلب شريان كما تعيى بالمحسوس أو بالمفهوم أو بالمستخلص أو بالمستكنه أو بالمستشعر

او بالمستر الذي يطلب الف سنة من الفكر والنظر والتجريب، ويا ليت ان للجماد سحة روح ولمسة حس تحجب اليوم من خالق الذرة و مرتاد الفضاء فقد يطلع عليها في غدٍ مرتاد الذرة و خالق الفضاء فيختصر به المسافة الفارقة بين المعرفة والمطلق الى حد الملامسة تكون بعدها الملابسة. فالمعرفة مراح بلا انتهاء تتداح فيه انانية الانسان على مقاس الازل والأبد زماناً و استطالة البعد السحيق مكاناً. لولاها لانضم الانسان في مضاقيل من اللحم والعظم يتعثرها دود الأرض.

ولئن كانت المعرفة في أظهر معانيها هي ضد الجهل فهي في واحدة من أظهر طبائعها طرف المناقضة للحظر والتحريم والتجهيم فهي لا تعني أقل من الاحاطة بكل شئ يمكن ان يعرف، ولنا ان نتمثل ما سيتحقق من العلم في عشرة الاف سنة قادمة اذا اطردت المعرفة بلا عيق. على أنها ستجاوز المعيقات كلها عبر الزمن الذي لا يعيقه شئ فاذا كانت العشرة من الآلاف دون الكفاية لانطلاقها الحر كان لها في الزمن سعة المائة الف والمليون سنة، بل انها ستبلغ مديات من العمق والاتساع والتارع تتجاوز بها مفهومنا للزمن نفسه: انها ستخلف وراءها سرعة الضوء فتخرق الزمن مطية قد تبطئ وتبطئ حتى التلاشي وتسري وتسري حتى تختلف نفسها ظهريا. والفكر في يومنا عاجز كل العجز عن تخمين امكانات المعرفة في الفتوح والكشوف و في النقض والتركيب و في الاستيلاء و التعقيم وفي التمكين والتعجيز و في الحذف والاضافة وما الى هذه المعاني الشاغلة لكل المسافة بين اللاشئ واللانهاية وهو في هذا العجز من انسان كهف (شانه ١٢)

وزارة الثقافة والاعلام

في تنبؤه قبل ستين الف سنة بالمركبة الفضائية. فاذا كان في الانتماء الى المنهج المتماوق مع معجزات المعرفة مستقبلاً شرف الاندماج في سياق الحق فلنؤمن إيماناً عميقاً بأن أخطر معيق يباعد بين الانسان وبين اليوم الموعود لسيطرة المعرفة على دنياه هادياً و حاكماً و منظماً هو ضيق النظر بمعناه العريض الذي يشمل كل انواعه و مصادره. أما عر الطلب واستعصاء الهدف و بعد المنال في دقائق الطبيعة و اعاصيرها و اقاصيرها فهي صفات لصيقة بمضمون التقدم في كل ميادين المعرفة فلم يكن قهر الجاذبية أمراً خارجاً عن فكرة الوصول الى القمر، ولكن فرماناً كهنوتياً أو دنيوياً بتحريم الطمع في السماء هو المعرقل الطارئ الذي كان خليقاً أن يجهض الفكرة او يعيقها في التنفيذ الى اجل يقصر او يطول.

ضيق النظر اعيذك منه ينبض الانانية في دمك وتور الهداية في عصبك: فمن خلال ضيق الرؤية يتسع الباب لشر البلاء يحيق بالحق و صاحب الحق وعلى الحق. و على قدر ضيق النظر يكون فخر صاحبه بالظلام الذي يكتنفه، ذلك ان المدى المحدود لمجال فكره يحصر معقولاته في أوليات سطحية معدودة ترشح له يقيناً مغروساً منه بصواب قناعاته الباطلة.

ولهذا البلاء انواع تعددت باختلاف المصدر فمنه ما هو وليد نقص العلم يعرشفاؤه، او نقص العلم يشفيه التعلم. ورب طامع صارب صنوفاً من المعرفة تنافي الطمع و رقم صنوفاً منها تعينه على الثراء. وليست واحدة من هذه الفئات مخصوصة بخطابي لعبث المحاولة في زحزحتها عن معاقلها بأية وسيلة للاقناع المنطقي. لاجرم، اقتضت الضرورة ان اخاطب في المنقف

قدرته على قهر آفة التحيز التي تشد فيه المعرفة بعقل واع وعين مفتوحة
فلا يوجد في مراحل النضج والاكتمال ما هو أقتل للعلم والنصفة والمعدلة
من التحيز للشئ أو ضد الشئ. ولا مجال هنا للاحاطة بانتاج شبكة
الخراب من اشتباك لحمة التحيز للذات بسدى التبريرات الايديولوجية في
التحيز ضد الآخرين فهو واحد من المواضيع الخطيرة المحتجبة وراء استار
غليظة من التوريات المنبية بالتضليل وبدخان المتفجرات تتردد ورنها النظرة
العجلى فاكتفى فيه باقامة مفارقة يصورها سؤال ذو شقين: ما الذي
قطفه الكردي والفلسطيني من ثمرات التذابح المستند الى تبرير التفرق
بوجود خلاف في وجهات النظر الايديولوجي وما الذي ما قطفه السويدي
والنرويجي من بركات كف الاذى واحترام (الرأي الثاني) بغياب
الفلسفات التي تكتشف العداء في ملتقى المصالح؟

الادارة للثقافة والاعلام
بسمح

وللسائل ان يسأل اين الارتباط بين ضيق النظر في الهواء النضج وبين
التحيز للذات! اما ان التحيز للذات مرتبط بضيق النظر، فلولا ان الاستئناس
بأسلوب التصرف واعتياد موالاته من شأنه ان يحيل مرة عملاً وسمة
ترياقاً لكان اوضح من الواضح ان التحيز لوجهة النظر الخاصة لدى سائر
الاطراف في المصالح العامة الى الحد الذي يتعذر فيه الاتفاق على
أسلمها واوجهها يؤول بها الى بناء المجتمع على القلق والتوجس وفقدان
الثقة وشيوع الخديعة بسبب تعاكس وجهات النظر وتضاد العمل
لدى الأطراف المتباينة. وليس في الوجود الاجتماعي تصرف ادل
على ضيق النظر وتبلد الحس من تغويث بيت يستند سقفه الى حيطان

أقيمت على رمال ناعمة ، فما أحراها ان تقام على الماء !! ولقد حاولت ان استشف مأتى (وصدانية الرأى) فى الشعوب النامية و رسوخها حتى نجد اى طرف فى الجهات الوطنية يناصل بقية الأطراف لحظة وصوله الى الحكم فوجدت أن ضحالة تجارب هذه الشعوب فى الديمقراطية و حرية الرأى ، وهى عنوان الحضارة فى اى بلد ، أسلمتها الى حكمة من حكم الكهف والغابة تقول : اتغدى بك قبل أن تتعشى بى .. و انا فى هذا أجامل اصحاب شعار الحل الجذرى كفلسفة للنضال فهو يقود بدوره على وجه الضرورة الى وصدانية الحل و وصدانية الحلال . أما سبق العشاء بالغداء فهى حكمة موروثة متبعة من اعقاب الزمان تصدق ، ويا للأسف ، فى التعامل اليومى للشعوب النامية منذ كان لها تأريخ مسطور أو مذكور ، ولكن طلائع الفكر و النضال كانوا أحرياء ان يتجاوزوها الى اسلوب أليق بروح العصر المتمثلة فى التجارب البيضاء من لطخات الدم لشعوب بلغت ذروة الحضارة علماً و سلوكا ، و ما كان الذكاء يعوز اولئك الطلائع لاقراع الحلول الجذرية فى صيغ جديدة تخضعها للمنافسة السلمية وكفى الله المناضلين شر الانتحار . ولكن يبدو ان زخم الحضارة فى عالمنا الثالث وما بين الثالث والرابع وما بعد الرابع أضعف كثيرا من ان يستطيع توسيع خيوط الحياة فى الأفكار السلمية الديمقراطية حتى يلج منه تراث آلاف السنين من فلسفة سبق العشاء بالغداء الى مناخ صحى واسلوب سليم لا عشاء شرعيّ فيه ولا غداء . غير ان حضارة الفكر الديمقراطى تُدانُ فى عالمنا ابتداء بتصويرها رشحاً

و نضحاً من ألهاى المؤسسين بحرية الاثراء الحرام و مص دماء البؤساء. ولقد استعملت الطلائع هنا ذكاءها فى القضاء على حرية التعبير وحرية التصرف بضربة واحدة عن سبيل ربط الحريتين بخيط واحد لعين من اتهامها بالأساءة الى المصلحة العامة وكأن الحرية عارد من أيام سليمان يجب حشرها فى قمقم مختوم و واقع الحرية نقيض ذلك فى خط مستقيم فهى بالدرجة الأولى حتى العاشرة ضمان للضعيف من استبداد القوى فان اعدى اعداء حرية الرأى و استقلال القضاء هم الأقوياء القادرون على الظلم والاعتات. على انى لست فى حال من يهم بحمل هموم الدنيا على عاتقه ولا يبلغ بى التفاؤل الساذج مبلغ التعشم فى زوال القهر بكلمة قائل أو نظم شاعر أو حكمة واعظ أو ايحاء القطع الرائعة للفن الجميل. ولقد سقت كلامى فى شارع عريض من الخطرات التى تقع لكل الناس و دارت حول التعارض بين سعة المعرفة وضيق النظر المتفرد كى امهد لليسر الولوج ~~مشاطع المعرفة الوسيعة~~ فى زقاق جانبى اخترت ذرعه فى هذه الكلمة يتكوّر فيه هم كردى صغير دلالته أكبر من حجمه بكثير فان من صغائر الأمور ما هو فى مراتب الخطورة بمثابة الخطوة الأولى فى رحلة الالف ميل ولن يصعب تبيان ذلك فى سياق الكلام.

هى الكردى الصغير القابع فى عطفة مغمورة من تقاطع شوارع الفكر و التأريخ و السياسة جدير كل الجدارة باعتبار هذا المرجان و انتباهه فما انتظم عقده الا ليسمع نأمة ويحس خفقة تنبعث من مكامن الشعور الكردى معبرة عما فيه.

ان الذى عانيته بفكرى وفى احساسى من هذا الهم الصغير كان غير يسير فقد ثقل علىّ الأمر بذاته وازداد ثقلا فى ايحاآته و دلالاته ذلك

ان صبراً بحراً في مراتب الاجتهاد يُقال له الاتهام بتسرع ودون مبالاة لمواجع الاتهام على غير ذنب بدر أو خطأ صدر إلّا أن يكون التحايل على الكارثة الماحقة و الالتفاف حول المحنة الساحقة بما يحفظ الأرواح و الأعراض و ينقذ البلاد و العباد ذنباً و خطأً لهو أمر حقيق باستيقاف الضمير لموازنة إشكاله على ادق معايير المعرفة إصابة و ألطف لوامس الحس إنصافاً فكيف يكون وقر مشكلته على طالب الحق اذا حصل التفاوت من عامة الكاتبين و الخائضين فيما من المستنيرين بالثقافة المعاصرة الى قبول التهمة بلا مناقشة و إدانة البريء بلا توقف حتى كأن الاسادة الى مثل هذا الخبر العظيم واجب ألقاه التأريخ في ذمة أصحاب الحلول الجذرية و المؤمنين بالخط الفاصل بين اليمين واليسار لحاكم الشر كله في جهة و استصفاء الخير كله في جهة. والواقع هو انه لم يكن في القاموس الكردي على عهد العلامة محمد الخطي، وهو المقصود في هذا الاستطراد، قد برزت مفاهيم اليمين و اليسار و اساليب الحلول الجذرية والأصلاحية و لا كانت شاعت أو تراثت ثقافة ادوبية في الأفق الكردي تقسم الناس شيعاً و افانين في تقويم الأحداث الخطيرة التي كان البت فيها من امتياز القائمين بها حتى تتباين الآراء بشأنها ما بين تبرئة و ادانة فما كان في بال أحد من الكرد ان يتهم الخطي في زمانه او فيما بعد زمانه حتى فواتح هذا القرن حين بدأت موازنة الأمور الماضية على معايير حديثة لتقويم المصالح فأصبحت الاحكام تصدر لاحقا في المضامين الاجتماعية و الأحداث التأريخية على هدى الافكار المستجدة فانقلبت الموازين في كثير من الاحيان حتى غاصت في الغلط و الشطط و قل من المنقفين من التفت الى ان ذرع الماضي بقياس

الحاضر هو من قبيل قياس مجاهة الطفولة الى النضج النسبي لطور الشباب .
وكان من نصيب الكردي ان تكون الفكرة القومية اسبق إليه و أشكل بمعقولاته من الافكار الأخرى المولودة في اوروبا فقد تأخرت الطبقية الى مابعد الحرب الثانية . لذلك حصلت مراجعة معطيات تأريخية وتراثية كثيرة بنظرة مناوئة ميالة الى الادانة فربطت قيمة صلاح الدين الأيوبي بسبب بعده عن الميدان الكردي ولم يسأل أحد نفسه ماذا كان يفعل فيما لو كان هو صلاح الدين و فقدت قيم موروثة مكانتها في قلوب أصحاب الثقافة الجديدة وحصل فيها النزاع بين انصار القديم وأنصار الحديث للدائر للتطرق اليه . فاذا شاءت الثقافة الطبقية اختلفت الآية بمقدار اختلاف الميزان القومي عن الميزان الطبقي فسهلت ادانة المواقف القومية التي لا تندرج في الأممية من وجهة نظر هملة شعاراتها و عزيت عيوب البرجوازية والاقطاع الى الفكرة القومية نفسها باعتبارها بنت هذه الزمر المحكومة بالموت و صار القومي الكردي الذي آمن بالطبقية الى جانب ايمانه بالقومية يجد الصعوبة في المشي السوي الذي لايميل شقه الحامل للشعارات الكردية و محصر من حيث لايدري في زوايا الانعزالية و الانفصالية التي تعني عند الاممي فصل الطبقة العاملة الكردية عن الطبقة العاملة لعموم الشعب الذي يشاركه الوطن الواحد وبهذا المنطق مثلاً أتهمت جمهورية مهاباد بالانفصالية وليس لأنها كانت تنفصل عن حكومة عموم ايران فانه ماغاير أحداً من القوميين الكرد المؤمنين بالطبقية والأممية ان يتهم المانيا الديمقراطية بالانفصالية والانعزالية لرفضها الاندماج بجموع المانيا ، فقد كان الانتماء الأممي هو الأساس في التقويم . والأفكار الجديدة هذه التي غزت العقل الكردي تنامت وتمادت حتى وصلت بغالبية الناشئة الكردية في اوروبا و الكثيرين منهم في مواطن الكرد بالشرق الاوسط

مصطفى زكية

مبلغ الأنة كل الثورات القومية الماضية خلوها من المضمون الطبقي و افكار الاقطاعيين ورجال الدين لقيادتها، بل انا سمعنا العجب الذي لم يخطر على البال من قولهم انهم سيخلقون البرجوازية الكردية من اجل هدمها والوصول بعدها الى الأشتراكية مصداقاً لنظرية المراحل التأريخية. !!! هاهاها

من هذه النابع المتناهية في السذاجة بنهايات القرن العشرين عليقة ان تزيل الأستغراب من سذاجات مثلها داعبت العقول الكردية في اوائل القرن فأساغت لديها المبادرة الى اذانة العلامة الخطي بلا تمهل. وإلى تتسلى على غرق اجيال كردية متعاقبة في متاهات الأفكار العائمة المنقطعة الجذور عن أية تربة منبتة أضعاف اضعاف أسى على تعرض أحد أفذاذ الكرد الى اتهام متسرع فما فلا التأريخ قديمه و حديثه من أمثلة اخرى كثيرة مؤسية و بعضها فاجع الا انى لا أتوسع على غير طائل في تشخيص الادواء و وصف الادوية. و هذا الاستعراض السريع لنوع التحديث في العقل السياسي و الفلسفي الكردي بشكل عام كان من باب الشر الذي لابد منه توصلا الى الحد الأدنى من المنطق في لغة الأسماع التي توصل اصحابها الى الاحكام النهائية في قضايا الساعة و المستقبل و ما كان من الماضي القريب و البعيد و من ضمنها مسألة الأنة الخطي المرحب بها من كل اليسار الكردي المنقسم على نفسه فان من حقي ان أطمع في بعض الانتباه اذا وضعت هذه المسألة الى جانب كوميديا خلق البرجوازية بنيّة هدمها لان قوة اليقين في حكميتها لدى المؤمنين بصواب فكرتيها متولدة من معين ضحل قعره أظهر من وجهه.

وزارة الثقافة والاعلام

محمد الخطي المنسوب الى قرية (خه تێ - خَتی) في منطقة بالك براوندوز واحد من اعلم اهل زمانه بعلوم الأسلام و هو تلميذ علامة عصره الأوحد الذي أقر بأولوية اساطين العلم، محمد ابن ادريس من بالك نفسه و يكفي

للتعريف به ما قاله العلامة فقيه الحيدري في كتابه (عنوان المجد..) من انه اذا اندثرت علوم الكتب لكان ابن ادم حقيقا ان يأتي بشيء من حفظه. جاوز علم ابن ادم حدود التصور كما جاوزت تآليفه حدود الحصر. وكان الخطي أبرز تلاميذه وأقربهم الى مكانته العلمية. وكان ابن ادم المرجع الديني الأعلى في اوائل امارة محمد باشا الراوندوزي (امير امارة سوران الكريم العين الملقب بالأعور)، وبينهما شرط متفق عليه بألاّ يتدخل احدهما في شؤون الآخر. ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما. والبديهة تحكم ان سبب الخلاف هو استحالة سكوت ابن ادم على أمور وقعت في ميدان الحكم لا تتفق و أحكام الدين. ووجه الاستحالة هو كون ابن ادم في مقام القاضي المطلوب منه بيان رأي الشريعة فيما يقع، فانسحب من راوندوز بأمر من الباشا الى قرية ولزه منصرفاً الى التدريس و التأليف. وقرأت في سلسلة الذهب لابن ادم (المدون) سنة ١٢٢٤ الهجرية ذكره للخلاف وسكناه بولزه منذ بضع سنين. فاذا كان اول تسلم الباشا للحكم في سنة ١٧٧٨ على أصح الأقوال وانزواء ابن ادم واقعاً قبل ١٢٢٤ بعض سنين فلا يبقى في فترة السنوات الست هذه غير سنتين، على أبعد تقدير، استطاع صبر ابن ادم خلالها ان يوسّع لأمله في تقويم ما يراه معوجاً حصل بعدها انقطاع الشعرة. وصار العلامة الخطي بعد ابن ادم هو المرجع الديني بترشيح من ابن ادم نفسه بالأضافة الى تزكية عالمه له. ودام الصفاء بعد ذلك بين رأس الحكم و رأس الفتوى في راوندوز على أتم ما يمكن. وأرى أن اكثر الفضل في دوام الصفاء يرجع الى توسع الخطي في اجتهاده بما يرجع الأخذ بالتيسير من ابواب الشرع المختلفة فقد يكون تحمل الضرر الأخف في كثير من الأحوال بترك التعنف المبالغ فيه أقرب الى روح المصالح المرسلة. ذلك أننا نعلم من أمر محمد باشا في عهد العلامة الخطي ما علمناه قبل ذلك من حزمه

في ادارة السياسة والتمسك بصالحة الحكم والتشدد مع اعدائها والترفق في انزال العقوبات الرادعة. ويصح القول ان صفات محمد باشا في الشدة والقسوة هي بحسب اقتضاء الأحوال تأكدت في أيام الخطى بأوضح مما كانت بدايات حكمه وضيق ساحة امارته واليسر النسبي في تعقيدات اعدائها الأولى خليقةً أن تُظهر منها كل مقاديرها. وهذه حقيقة نستشف منها بل نطالع فيها مدى أقلمة الخطى علمَهُ النظري وفهمَهُ للمصالح مع ما هو من ضرورات الواقع وطبائع الأشياء حرصا منه على حبس المعاملات وسائر التصرفات ضمن اطار الشريعة ولو اقتضى ذلك منه تأولا وتوسعاً. وإني لاعتقد بكون الخطى صورة لابي يوسف تلميذ الامام الأعظم، في تطويع علمه و اجتهاده ودرايته بسبل التأويل الى ضرب من المرونة في القياس تستجيب لمستلزمات واقع متسم بالتعقيد وتهدد بقوى مناهضة تبتدع المعارك تتصل نهاياتها ببداياتها وتخلق حالات صعبة العلاج قد لا يكفي لها مثال (المؤلفة قلوبهم). وربما كانت اجتهادات الخليفة عمر في عرفية التشريع بما يوافق روحه خير مساعف لرجل في مثل مقام الخطى مطالب بالحفاظ على مصالح الجمهور تنازعه فيها قوى أكبر منه واحوال فوق متناوله. فيالليت أن الأيام أبقت على فتاواه المحررة والشفهية فيما شجر بين الناس من نزاع و ما كان منها ذا صلة بمصالح الامارة والأمير أو ما جابه به حالات فيها ضيوط من منافع يحميها أو يطلبها القاجاري والعثماني وولاة من الجوار القريب والبعيد وأمراء تحيط ارضهم بارض سوران احاطة قد تكون حامية أو حادة اذاً لكنا أحرياء ان نقع على بيدر من احكامه في مختلف الابواب يذكر بكتاب الخراج لابي يوسف. ولئن خلت يدنا من هذا البيدر فقد علمنا عن سبيل بقاء الخطى على رأس الفتوى والصدارة العلمية حتى نهاية عمر الامارة لاكثر من عشرين عاماً بلا خلاف بينه وبين الأمير تكييف الخطى

لفتاواه مع مقتضيات السياسة العامة في الأمارة ونحن متيقنون من توسل الأمير بكل سعى لتقتفيه سلامة حكومته وزيادة قوتها واتساع رقعتها ومنه ما كان متعارضا مع الولاء للخليفة العثماني من مثل اتصاله بالقاجاريين وتقوية روابطه مع ابراهيم باشا المصري الذي اوشك ان يقضي على الخلافة نفسها لولا تدخل الأوروبيين على النحو الذي تذكره مصادر التأريخ. هذه الحقيقة المضيئة في سلوك الخطي واحد من الأدلة القوية المفندة للتهمة الموجهة اليه كما سيتضح بعد قليل.

مضت الأيام وتعاقبت السنون في عمر الامارة الفتي وهي تحمل على نحو متصل بذرة التعارض بين طموح الأمير السوراني في تشكيل دولة راسخة الأساس وبين مصالح دولة كبرى لا تسيغ هذه الشوكة العصية في حلقها وتفصيلها مذكور في كتب التأريخ ولا يجوبه هذا المقام مجال من الأصول وآخر ما قرأته في هذا الباب مقال منشور في العدد ٤٢ لمجلة كاروان الصادر في نيسان ١٩٨٦ تحت عنوان (الملا يحيى المزوري وسقوط امارة بادينان) للسيد عبدالفتاح علي يحيى ألم فيه حسب سياق الأحداث بالخيانة المعزوة الى الخطي فأكدها واغلظ فيها حين كتب « وبعد أن استسلم أمير سوران للقائد العثماني بتحايل من العناصر الموالية للسلطان العثماني وخيانة بعض أتباعه ومنهم مستشاره الملا محمد الخطي الذي رأى في محاربة الخليفة العثماني إثما كبيراً، وجه علي رضا باشا نشاطه نحو العمادية .. » وقد جاء تخوين الخطي في هذا السياق بمثابة قتل عصفورين في رمية واحدة فأصبح علي المزوري والخطي معاً فتذكرت بذلك القصر والجمع في الصلاة. غير أنه يتراءى الدخول الى صلب الموضوع الذي اعالج منه فاني خلال كلامي لم المح حتى الان الى طبيعة الخيانة المزعومة بانتظار ان يتصل السرد حتى يفضي الى المقصود طواعية وقد افضى اليه في هذه

الفقرات المنقولة من كاردان ويلاحظ فيها عدم التطابق بين القول بخيانة الخطى والتصريح بكونه قد (رأى فى محاربة الخليفة العثمانى إثماً كبيراً) فلكى يتم إلباسه الخيانة يجب تجريده من ثوب العقيدة أولا. وفيما شئ من الغموض فى الكيفية التى تحققت بها خيانة الخطى للأمير السودانى والظاهر هو أن شرح هذه الكيفية بين عامة الدارسين وكثير من السامعين كانت مغنية عن التوضيح فى نظر كاتب البحث. فاقول من باب إتمام الفائدة لغير المطلع على تفاصيل المحنة القومية التى أتُّهم فيها الخطى انه بعد أن أشرفت الجيوش العثمانية على بربض الأسد وأصبحت المواجهة التى كان الأمير يتوارى عنها ويتجنبها أمراً لا مفر منه فاما ان تحصل المعجزة بانتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة وإما ان يحصل المنتظر من اكتساح البغى العظيم للحق المضيم العظيم صدرت فتوى شرعية من الملا محمد الخطى بتكفير من يقاوم جيش خليفة المسلمين فانطفأت النار واغمدت السيوف ودخل الجيش العثمانى مدينة زاوندوز بلا قتال أو تخريب أو تقتيل.

هذا ملخص الواقعة وهى ان يُخوَّن فيها الخطى لا يُلتفَت الى الملابسات والظروف واقتضاآت الحال وأحكام الضرورة ويحصل فيها تجاهل مطلق للعلاقة الحميمة بين الأمير والخطى لأكثر من عشرين عاما وتُصمُّ الآذان عن رواية تأريخية كانت شائعة حتى اوائل القرن العشرين وما تزال حية فى واعية الذين تلقوها من الأجيال المنقضية وكانت متسقة مع احتفاظ الخطى بمكانته العلمية ومقامه الاجتماعى بعد الفتوى دون ان يعلق بصيته شئ مما يراد ان يلصق به من التهم والظنون فى عصر الثقافة والتواصل الرواية تقول انه بعد ان اصبحت الحرب مع الجيش العثمانى هى الخيار الوحيد وكانت نتيجتها واضحة للعيان بما لا يخفى حتى على الأرمد لم تبق مندوحة عن الاستجابة لعروض السلام المشفوعة بطاعة الخليفة التى كانت تتوالى

من على رضا باشا مزوجة بكثير من الوعود و الأيمان على بذله الجهد لتجنيب
راوندوز و اميرها الحيف و الهوان عناك الباشا السورانى الى النزول على
حكم الضرورة و القبول بأخف المحنتين . وكان من قبيل صون ماء الوجه
والتخفيف من حماس الجيش الراوندوزى و وضع المشكلة فى اطار من حكم الشرع
الذى يوسع ابوابه حلها بما قد يتفق مع الوعود المبذولة ان استقر الرأى
فى الجانب الاكرى على صدور فتوى من المرجع الدينى الأعلى فى الأمارة تحظر
رفع السلاح بوجه جيش الخليفة . فالفتوى صدرت بموافقة الأمير و لمصلحة
و مصلحة المنطقة كلها و مانعةً من الكارثة المحققة الوقوع و مهدةً لما
كان موعودا من بقاء الأمير فى امارته ضمن لحمة السلطة المركزية . و الأدلة
على ذلك موفورة تتعب حصرها :

+ فأول ما يقال فى ذلك ان الشهرة لم تنبعث الا بعد انتشار الفكرة القومية
و الرجوع على الماضى بمقاييس زمان لاحق و تم ذلك فى هذه المسألة بالذات
على صورة من الفجاجة و الضحالة أخرجتها من اى اطار مضبوط لمصطلح اعادة
تقويم التأريخ فمهما يكن فى هذه الاعادة من مزالق ، وهى كثيرة ، فانه من
الصعب أن يحصل فيها مفارقة الحقائق و الوقائع و الدوافع و يتم تجاهل حكم
التأريخ و وطأة الضرورة كما حصل فى تجريد الخطى من ثوب فضله و اعانه
بلا تردد و لا توقف و كأن ذلك سهمة العمر و حظ الحظوظ .

و ثانى ما يقال انه لم تصدر اية فتوى طوال الأشهر السابقة على وصول
الجيش العثمانى الى مشارف راوندوز و حلول اليوم الذى يأتى بعده الويل اذا
لم تتداركه العقول الواعية على صورة من صور الأمكان . فاذا كان غرض
الخطى تكفير من يقاوم الخليفة بناءً على عقيدة دينية استوفت فى المسألة
اشراط التكفير فقد كانت هذه المقاومة ماثلة للعيان منذ مدة و التهيؤ لمصاولة
بين جيش الأمير و جيش الخليفة أظهر مما يتطلبه نصاب العصيان و الخروج

على أمر الجماعة من جانب الأمير. وكان قد حدث قبل هذا في أحوال كثيرة ما سبق ذكره من توسل الأمير بصداقة أعداء الخليفة فكيف حدث أن أطلق الخطى فتواه لحظة وصول السكين للرقبة فمنعت قطعها ؟ أم هل تروت في صون الرقبة خيانة لها ؟

وثالث الأمور هو انه اذا كان الخطى مؤمنا في فتواه بكفر من يتمرد على الخليفة العثماني، فانه بتجاوز كل ما لا تضاه من تأخر الفتوى عن أوانها الشرعي، كان خليقاً به أن يأوي الى مأمن خارج حكم الباشا حيث يستخرج فتواه دون أن يُلقي بيديه الى التهلكة فهو أول من يعلم ما هو منتظر من قسوة الباشا مع الذين يريدون بدولته أذى. أما إذا كان ثمن الفتوى حطاماً من هذه الدنيا كما زعم خواصون حضروا نفوسا وكفوا ألبابا فقد سقط بذلك كل تعليل لبقاء الخطى مع الأمير حتى نهاية المجريات إذ يكون الثمن المدفوع في شراء الفتوى قد استبعد احتمال استشهاد الخطى بإرادته في سبيل العقيدة فلا يبقى بعد الارتشاء الا التواري والخلاص بالجلد.

ورابع الأمور ما كررت بيانه من شدة حرص الأمير على سلامة حكومته واتباع طموحه الى البسطة فقد كان اول شروطه على والده يوم تسنمه كرسي الأمارة عدم تدخل احد في اسلوب ادارته للأمور وسياسته للناس وكانت أولى ثمرات هذا الشرط أخذ أعمامه المشاكسين بالشدة المهلكة. وصاحبته هذه السجية حتى اللحظة التي كاثرته فيها القوى وناهضته الدنيا بما أفقده الخيار.

وجدنا في اول حكمه كيف عزل ابن ادم عن الفتوى وحدد اقامته في احدى القرى وهو عمدة العلماء وذروة الصلحاء واستاذ الخطى وآخرين في مستواه من المرتبة العلمية فهل يتصور انسان لم يُعجله التسرع ان يسكت مثل هذا الامير الباطش عن مفتٍ هو ناصبه واولاده ما يشبه مشيخة الاسلام وصاحبه على الرضا ما يقرب أربع قرن لينقض بسنّ يراعه إمارة مازجت طموحه

و نزلت في شعوره منزلة الروح من الجسد و أفنى في اقامتها و ادامتها عمره و اعمار الألوف من مقاتلته اذا كان يجد بصيص أمل في تجنب الكارثة ؟ انى لتنازعني نفسي الى الحلف بالأيمان على أن الأمير كان يقطع الخطى قطعا تنزل من قروم الغربال اذا آنس منه نية للأذى إمارته و هو قادر على الحماية . بل انى واثق و يثق معى كل من عرف الأمير و سمع بالأمير و كتب عن الأمير انه ما كان يتردد ربع دقيقة في امالة جيش الخليفة أولا و تقويض دولته ثانيا و فتح عاصمته و احتلال قصوره و خدوره و مصادرة جواهره و جواريه ثالثاً و خامساً و عاشراً اذا مكنه الامكان من ذلك و لم يكن يبخل في هذا السبيل بشق مائة خطى اذا اقتضاه المقتضى . و هل كان الخطى اعز منالا من الحسين فلذة كبد النبي ؟ و هل كان الأمير أقل صبا لنفسه من يزيد ؟ ثم هل كان يزيد أوضح حجة في الحسين من الأمير في الخطى ؟ صورة و ألف صورة شذرها من التأريخ و من منطق الأشياء تتداعى ناطقة بأن المصالح العظمى في سياسات الدول ، ولاسيما ما كان منها محكوماً بالارادة المتفردة التي لا تطاول ، تمضي الى اهدافها لا يستوقفها غير شيئين : الخوف من ضياع الصلحة و العجز عن تبعات المجابهة . و في ما عدا هما تجد التبرير في اى شئ تقدر عليه بما لديها من سلطة و من مال .

و خامس الأمور هو ان تقوض امارة الباشا كان يعود بالضرر على الخطى نفسه فلا نظن احدا من علماء الكرد نال من الكرامة الدينوية و المقام المعنوى ما ناله الخطى خلال البضع و العشرين سنة من شغله صدارة الدين في حكم الأمير السوراني . و المعروف من حال الخطى بعد انقضاء حكم الأمير انه عاد الى قرينة و سابق وضعه في تدريس طلاب علوم الإسلام و بهذا يسقط واحد من الدعائم الوهمية الكبيرة التي تعلل فتوى الخطى بغير عرضه على مصائر الناس فان المنتظر ان يكافأ صاحب الفتوى اذا كان مضمرا في قلبه امرا دنيويا يخفف [illegible] كاهله . فاذا حذفنا احتمال المكافأة

لاقتضاع جبة الطمع فيها امكن تعويضه عنها بما يناسب مقامه العلمي من مثل مشيخة الاسلام فهو باستثناء ابن آدم من أليق علماء عصره بها. ولولا ان الفتوى محسوبة لمصلحة الأمير وأهل المنطقة بأكثر من حسبانها للخليفة ودولته لكانت الفتوى وحدها وبحد ذاتها أكبر سوغ لتقريبه من الخليفة في مشيخة الاسلام ولكن الفتوى صدقت في خاتمة الخطى برجوعه الى قرينة كما صدقت في يوعها الاول بعصتها للأرض والعرض من العدوان

ومن الامور التي يستأنس بها في تقويم موقف الخطى ما يمكن استنباطه من استقراء واحدة من صفحات حياة أحد اساطين الحق في ما بعد النصف الاول من عهد الخطى واقصد به رائد القومية الكردية وفلسفتها المستنيرة في القرن التاسع عشر الشاعر العصي على الموت الحاج قادر الكوي فقد كان عمره يوم صدور الفتوى اثنتي عشرة سنة على أقل تقدير وتسنى له أن يدرس في مدرسة الخطى على ارجح الأحتمال بعد اقل من عشرين عاماً من صدورها فهو قد عاش عصر المحنة وتنسم اجواءها وعال في مواطنها ودرس على صاحبها فلما أصبح فيما بعد شاعر القومية الكردية في أرض الغربة بأستنبول ذكر منطقة بالك في شعره بحنين شديد وأثنى على الأمير محمد باشا واخيه بعده بما كان من صرفهما على العلماء فيقول ما معناه :

على مدى دوام الجرايات من الأعور والأكمن
كان في اغلب القرى علماء صالحاء

ونحن نعلم ان اكبر نصيب مما يدخل في معنى الجراية المقطوعة للعلماء هو الذي كان مخصصا لديوان الخطى ومدرسته. ولقد قلت في الصفحة ٨٠ من كتيبي الموسوم « اعادة التوازن الى ميزان مختل » المطبوع سنة ١٩٧٠ في معرض الدعاء عن الخطى ونفض غبار التهمة عن

« فاذا كان العلامة الخطى قد ارتكب شيئا كهذا ثم كان من نصيب صاحبه فيما بعد ان يدرس عنده ويتعرف على شؤونه من قرب اذا لكان حقا مقتضيا ان يذكر شيئا من ذلك فى شعر الضعف الثانى من حياته التى انفتح فيها ذهنه على المعانى القومية و ادرك مكان الاعمال الضارة والنافعة فيها فانه ما ابقى نافعا ولا ضارا فى الحقل القومى الا ذكره بالمدح أو القدح فجاء خلو ديوانه من اية اشارة يُشتَمُّ منها فى الوهم ريح تخوين العلامة الخطى أو النيل منه دليلا يستأنس به فى ترجيح مقولة أخرى شائعة بالتواتر تنزله من تلك المرتبة وترد موقف العلامة الخطى نه هذا الى رضا الباشا نفسه، بل ان فى ديوانه ما قد يحمل على نزاهة العلامة الخطى وهو ما ذكره صاحبى قادر من فضل كور باشا فى تعمير المساجد والصرف على العلماء وكان أول من اغدق عليه من علماء عصره بعد خلافه مع العلامة ابن ادم هو العلامة الخطى. وانه لواضح ان وقوع الخطى موقعا يحمد بسببه كور باشا هو فى أظهر دلالاته موجب كمد الخطى نفسه ». الحاشية

بقى ان يقال من باب التمسك بتلابيب اى كلام يحصر الخطى فى زاوية محرجة انه كان اشرف واكرم لجيش الأمير ان ينازل الجيش العثمانى وفاءً بالواجب القومى الذى لا يتقدم عليه شئ ولتكن النتيجة ما تكون. فأقول:

اما ان النتيجة لم تكن تتعدى احتمالا واحدا هو انكسار جيش الأمير فهى حقيقة مفهومة من قبول الأمير للمهادنة ذلك ان طموحه ونزوعه الى السلطان وتوسله بكل الذرائع لترسيخ الذات والمراد تزيّده من القوة المسلحة بما فيها صنع المدافع وصنع الأسلحة على قدر الامكان وخلق الفرص للتوسع بل ان كل ما فعل وترك وقال ولم يقل يدل دلالة قاطعة على انه ما كان يضع السلاح لو وجد فى الحرب بصيص أمل فى

النجاح أو المقاومة فانه كان من طبع طموحه ان يركب ربح الأمل الى الانتصار بوجه ثلاثة ارباع الخوف من الخذلان ولكنه بسبب هذا الحرص على المصير كان يبخل بنفسه على الهلاك المفروغ منه فاجتنبه متعلقا ببقية أمل ماثل في الوعود المبذولة . وربما تبادر الى الذهن احتمال آخر فيه خيار الأمل أقوى منه في التسليم للعثمانيين وهو هروبه بجيشه الى القاجاريين . ونحن وان كنا لا نعلم ماذا كان خليقاً بأولئك أن يفعلوه ولا نركن في الحكم برفضهم لأيوانه الى ما سبق من رفضهم لصداقته الا اننا نستطيع ان نقرأ اختيار الأمير في احتمالي الرفض والقبول القاجاري : فهو اذا كان متيقناً من رفضهم فقد سقط خياره في الاعتماد عليهم . واذا كان متيقنا من قبولهم فقد أثبت بتركه هذا الخيار تجنب صيرورته أداة شغب بيدهم فانه كان يعلم تعذر التذبذب المتناوب بين ولائين : مرة لآل قاجار ومرة لآل عثمان كما كان في امكان امراء بابان أن يفعلوا ازمانا طوالا ولو كان قادراً على التذبذب لاختاره على التسليم ففيه مجال التعلل ولكنه كان يدرك ان عهد الاستغاثة في سياسات الشرق الاوسط قد انقضى أوانه بانكماش فرص التقلب امام القوى الصغيرة نتيجة ضغط المصالح المتنامية للغرب الناهض بقوة الى فتح الأسواق لمنتجاته وضمان تدفقها وسلامة تجارتها عبر توازن القوى واستقرار الأحوال وما الى نهاية هذه التداعيات المفضية كلها الى سقوط حيلة الضعيف في المعترك الحديث . وما كان قيام العثمانيين بتصفية الامارات الكردية الا صورة ماثلة من السياسة الدولية واضحة القسمات في بصيرة الأمير ، فأحسن صنعاً بالمهادنة وترك الانتحار وان كان قد اضاع على اجيال ما بعد الربع الأول من القرن العشرين تفاخر الاعتزاز بخراب كذا الف بيت واستشهاد كذا من عشرات الألوف واحتراق الأخضر واليابس وهلاك الزرع والضرع في

ساحة واسعة من ارض الكرد المصبوغة بالدم فما اروعها صورة وضاء من امتزاج الأحمر المسفوك بالأخضر المحروق فانا نعلم ان الابطال من شهداء ماكنة (دمدم) كانوا من قرنين و بعض القرن قد تركوا بعد موتهم وخراب ديارهم وفراء من افلت منهم، تركوا ساحة السوانح لفخر المفتونين بمجالس العزاء والنواح على القبور واللطم في الأطلال وقد جاء في المأثورات ان اول مسجد للصلاة في المنطقة لحلها أقيم بعد ثمانين سنة من الكارثة الماحقة، ولو أقيم بعد ثمانمائة سنة لتضاعف فخر المفتخر بعشرة امثاله.

اقول هذا وأنا اشد المكبرين لروح البطولة في مأثرة (دمدم) فانه بعدما تم القضاء وحل الفناء وتم الخراب يكون من باب التطوع لاستكمال الافلاس بشقيه المادي والمعنوي أن نترك الفخر ببطولة عزت بين الأمم، ولكني واع اشد الوعي ايضا مقدار الخسارة القومية في كارثة دمدم وفي غيرها من الكوارث التي لم يكن متصورا لها غير نهاية واحدة محتومة فلن اتخذ انبهاري بروح الفداء في دمدم سُلَّماً الى كوارث مماثلة لا علة فيها غير الانبهار فالناس أعز على أحياءً منهم اموتا، والاوطان أوقع في قلبي خضراء منها سوداء حمراء.

ثم ان غلة الكرد من المجاهم الكردية وانقاض القرى الكردية خلال معارك بضع السنين السابقة على محنة الفتوى في ١٧٥٠ كانت من الضخامة والفخامة بما لا يترك فضلة شهية عند المفتون بالدم والنار حتى تقدم لها راوندوز طبق الحلوى في ختام وليمة الثكل واليتم والضياع. فالمسألة لا خيار فيها يختاره العقل السوي غير واحد هو الذي اختاره الامير مؤطرا بالفتوى. وكان الامير في موقفه المحاط بمبطلات الأرادة اقل حيلة من لنين في قبوله بصاغة برست ليتوفسك التي عرت عليه كثيراً من الحقوقات

ولكن ليتبين أثر مستقبلاً مضمونا بدفوع الثمن بمعاهدة أملتها الضرورة على مغامرة تكون حصيلة الانتصار فيها مقاربة لحصيلة الاذعان الى المعاهدة بما فيها من يقين الحياة وتكون حصيلة خسرانها ضياع كل الآمال التي ثار من أجلها وأثار بها أمة عن بكرة أبيها.

هذا الهم الصغير الذي يشغلني في ظلم الناس للعدالة الخطى يتفرق عندي فرعين أصغرهما أكبر من الأصل بمراتب وأكبرهما تنوء به العصبة اولو القوة.

أما الأصغر فهو استمرار الثقافة الكردية الحديثة لفرض التحامل على أمثال الخطى دونما نظر الى عواقب هذا الميل المتحيز الذي يلتبس فيه الحق بالباطل. ذلك ان التحيز في المثقف نوع غشاوة تنسدل على عين المجتمع لان الثقافة نور الرؤية ونبراس الهداية ثم هو تبلد يخالط احساسه بالخطأ والصواب والاستقامة والالتواء والظلم والعدالة وبقية القيم فالمثقف في مثل دنيا الكرد هو الذي يتكلم باسم الناس وينوب عنهم في تسمية الأشياء وتضمينها المعاني ويرفض هذا العرض ويقبل بذلك ويسحب وراءه الدنيا الى المهالك وأنصاف المهلكة وما اكثر ما وجدت البطاركة من عباداتهم ميارث فيما يفعله المثقفون بأنفسهم من التفرق والتشرذم وما يتبعه من العنف الدموي على أمور تيافههم في مثلها البطاركة عفو الخاطر لأنهم لا يملكون قواعد آيديولوجية في تقويم المصالح الدنيوية كي يقيسوا بمرد على جذبة القادرية ويعرضها بكر على خلوة النقشبندية. ولا أظن ان السياسة افرجت الى ميدانها قضية في مثل وضوح واجب طلائع الكرد فقد كاد ان ينجز هذا الواجب منذ انتهاء الحرب الكونية الأولى من ثمانية وستين عاما في حفظ الوجود القومي عبر معركة الحياة ضد الفناء فالايديولوجيات ينبغي أن تخرس بين اصل سفينة مهددة بالغرق. ومن اعجب العجب الذي يغلبه احساس المثقف الكردي انه يلوم أمراء الكرد وذوي القدرة منهم في ماضي الزمان على تفرقهم وتركهم الوفاق بوصفه اظهار كانت تهدد وجودهم من خارج كردستان ولكنه

بنفسه وهو غارق أكثر من أي وقت مضى في التفرق والتصدع والتناحر والتنازع على غير داع من مصالح الدنيا ومصائر الناس فإذا كان عذر الأمير الكردي في عدم الوفاق هو خوفه من انتشار جاره القوي لثمرات الوفاق وما قد يؤدي اليه من تهديد مصالحه بما خيرها امارته من اساسها فليس للمثقف الكردي من عذر الا ما كان من التحيز لأيديولوجية منقلبة الى دين يراه أقدس وأغلى وأحرى بالافتداء من كل المصالح الوطنية والقومية التي يزعم ان الأيديولوجية نبعت منها ابتداء. فالمثقف أضل سبيلا من الأمير الكردي القديم في عذر التفرق لديه عديدة: فهو مؤاخذ بالثقافة التي كان الأمير يفتقدها. ويعيش في عصر مليء بأسباب الوعي حتى سقط العذر من يد اي انسان يتعامى عن الحقائق. وينيب نفسه مناب شعب بأسره ثم يتقلب على نفسه بشر المهالك في مصالح الناس. وتتهدد الأخطار وجوده في يومه بأكثر مما هددت ماضيه قبل مئات السنين. والمثقف بعد هذا كله لم يستطع ان يقدم لشعبه ربع امارة شوهاء مما كان الأمراء المشوهون يداعبون بها احلام أنصاف البشر من بني جنسهم.

بقي ان يطالبني المثقف الطليعي بأمارة ما كان لسوران أو بابان حتى يجهد الناس من فوق منبرها بركات الخلاص فأقول له: انه اذا كان في مستوى الافلاس وعلى الطوى يركب شيخ الايديولوجيا في مصاولة أشباه من راكبي دواليب هواء العقيدة فما أمره في ستوى الشبع والوفرة والرضا عن الذات أن يصنو مزاعمه للفخر والتناحر حتى شفا الاضمحلال. وما ذلك بحاجة من الى برهان فانه لا أمل في الطليعي قبل ان يتغلب على ضيق النظر من التحيز وتعويد نفسه على توسيع نطاق الرؤية حتى يتبين المآتي الحقيقية للمصلحة القومية كما هي في واقع الحياة لا في تلافيف النظريات. ولا أطيل الكلام في ذلك فان طويله وقصيره يستويان في أمر واضح للعيان كالمحنة التي يعيشها الكردي وهي الهم الأكبر الذي أشرت إليه فأقول فيها ان المشكلات المتميزة التي

يرزح تحتها الكردي ويتيه فيرح له ويخيب حسابه ويضيع كتابه ويختل نصابه تعود بجذورها الى الثلث الأخير من القرن السادس قبل الميلاد يوم مال ميزان اقتداره بخسارة دولته في ماد وانتقال السلطة منه الى الأخمينيين في حكم كورش الكبير فهو منذئذ منشغل على غير طائل بجمع ما ينتثر وبناء ما يتهدم وجبر ما ينكسر وحبك ما ينتقض وسد ما يخرق فاذا غارت جروحه كان أشفى بلاسه ان يتركها تجف من ذات نفسها حيث لا يوجد مداوٍ أو دواء.

فقد صدق فيه قولي المنشور صيف عام ١٨٦٠: إنه يخرج اليوم من جدث التأريخ أشعث أغبر ينزف جسمه من جرح عشرين قرنا أو يزيد وتغوص في عظامه سلاسل الأعقاب. لو اطلعت عليه لوليت منه فراراً ولملئت منه رعبا.

وكان هذا الكلام ضمن ما سُمّيَ بوقته "حملة توطيد الاحرار العرب الكردي" فجاء بعده مايلي: وتعاورته الأيام بخساً ونقصاً حتى تكشفت مطاعنه لكل لام وضارب فاضطجع يسحب على جسمه المنخر طرفاً من درع تموز وفي عينه نظرة التساؤل يطالع بها وجه أخيه: اي أخي مُدَّ لي من الدرع على قدر إربي أو أعرني أو هب لي أتقي به السهام انهم يوجعون. وتفيض به شؤونه وشجونه لا يدري هل لهفت كأسه من كؤوس دم يسال أم كرامة تذل هنا وهناك حيث يجثم على كل دار للكرد ذو قساوة وضراوة: اي أخي من زادنا وعتادنا أو من زادك وعتادك شيئا يسمى به الاحرار فاولئك قوم في نكالي مفرقون. انهم يقتلون ويحرقون ويفسقون! وانظر ماذا ترى في الأمر ابرح الأخ رفعاً للبلاء وقطعاً للشكاة انى مغلوب فانتصر. وماهو بمكلف اخاه شططاً من أمره بصرخة الاستنجاد، وانا كان في اغاثة (الأخ) الملهوف شطط أو غلط فبئست المقاييس التي تقاس برح الأخلاق والقيم وتعاليم يقام من فضل السوم ونقص الوزن واستيفاء الاكتيال.

هذا بعض ماقلته في كلامي الموجه الى الاخوان العرب اصور به حالة الشعب الكردي من نحو ألفين وخمسمائة سنة فما من طامة كبرى ودون الكبرى ضَرَّست

الكرد منذ يوم محنة الاسكان لهم انعدام الكيان السياسي الجامع للمتشتت
و المانع من الانتشار سببا خطيرا من اسباب تضاعف الخسار فيه فقأت لهم عدسة
مكبرة للمآسي يتضخم تحتها البلاء من حبة الرمل الى حجم الحصاة فما كان
لاختلاف اراء الكرد أن يكون ميتا لو أن من حولهم سياجا من الحدود
المعترف بها يحصر شر الخلاف ضمن بعض الأذى وشيء من نقص الثمرات
والانفس فان الاراء من الامم الأخرى لما انت تختلف و تختصم و تحترب
و لا ينتقض ولهم او كيانهم العام لثبوته في حسبان كل الأمم . و اذا
أضعف الخلاف من شوكتهم انقلب ضعفهم نعمة قومية عامة بذوبانهم في
السلطة المركزية و انتهاء التجزئة الأقطاعية . ان كثيرا من الشعوب بلغت
مرتبة الدولة بالتهام الاقطاعي الكبير للاقطاعيات الصغيرة من حوله حتى
هوافت حدوده القومية وربما جاوزها على قدر الطاقة في الالتهام . فاذا
حدث مايشبه ذلك ، وهيهات هيهات ان يكون قد حدث ، لامير كردي فطال
باعه حتى نالت ذراعه اجار بعد اجار جادت الانملة القاصمة من الدولة المهيمنة
غير الكردية فقضت على الزرع والضرع كأن لم تغن بالأمس . و المنقضون من
القوميات كلها يختلفون على التافه والخطير و يضاوة في احيان كثيرة و لكن
خلافهم يعجز ان يكون قاتلا للأمل ماجبا للحق مانعا من الأمنية مطلا على
الضياع كالخلاف بين طلائع الكرد فان فئاتهم مثل المفاليس يفتقدون
ثمن قمصان يلبسونها ولكن يتجارشون على لون قماشها وحجم ازرارها وفتحة
أكمامها . و اوجع ما في خلافهم انهم اذا اهتدوا الى الوفاق بل الاتحاد بل
الوحدة بل الالتحام بل الاندماج و وراءهم كل الشعب الكردي ينهض بأشارة
السبابة من احدهم فلن يجاوز شأنهم بعد الاندماج في مضاعيف تحقيق الاماني
حد الوقوف بأول الطريق الصعب الذي لا يرى طرفه البعيد ذلك ان
المصالح الكبيرة الفاعلة في الشرق الاوسط رست موازينها على ثبات

خارطته السياسية دون تغيير فلقد وجدنا دول الغرب تتجنب تنقيص امكانات تركيا بعد الحرب العالمية الأولى رغم أنها كانت عدوتها اللدودة و انهكتها اربع سنوات طوال . ونرى اليوم اصرار امريكا على بقاء كيان ايران سليما بعد كل الذى تجرعته من الهوان وسقوط الاعتبار فى مسألة الرهائن المشهورة فاذا اردت ان تنهار من ذات نفسها فرضت عليها عدم الانهيار . والكلام فى هذا يطول فأتركه الى فهم السامع و اكتفى فى زيادة توضيحه بأنى منذ ان جرى الكلام وحصل الاتفاق على قدر الامكان فى اقرار الحقوق القومية لكردى العراق تولد عندى التوجس من البيانات بالأعلان عنها وما يتبعها من الرقص والزمر وتناس عندى هذا الحس حتى صرت اكره كل مظاهر النشر والاعلام والاستبشار بحق من حقوق الكرد وافضل عليه أن يتم اقراره فى ركن مغمور من الجريدة الرسمية بلا زمر ولا مزمرون

ومحنة الفتوى نفسها احدى الفترات المرة لتركيب برغم الارادة الأجنبية فى مبتدع الوجود الكردى فنما البرعم وأفرع حتى غطى على الشجرة نفسها فرض عليها بالفتوى مذلة اداتة الذات بديلا من مذلة أدهى وأمرّ . فالمحنة الكردية افدح من ان يسيل فيها لعاب المفتون بأدانة الماضى الى المسارعة فى ادانة الخطى وان يزدهى المتحيز لعقيدته بزيادة الحماس فى محاربة غيرها وأن يتغلغل فى فرض الفروق الطبقية على النضال الكردى المعاصر بوجه الموت والخراب : الا فاشهدوا على انى أؤمن بنضال كردى لم يتلون بأىّ من العقائد التى تولدت فى القرون الحديثة لأن شلل الطفل الذى أصاب تاريخنا منذ القرن وخمسمائة عام أفرغنا من مقاييس الشعوب التى لم تشل، فانا مؤمن بنضال ما قبل زمان صاحب قادر الذى لم يشهد عهود التقريق والتفريس و انقسام الاسرة الكردية الواحدة على نفسها قسمين وثلاثة على حسب اختلاف الايديولوجيات التى تغلغلت بين افرادها ولم يسع بنو الكلام الكردى

في بعض مواطنه من نحو ستين سنة فاذا كانت محبة الحياة وكراهية الموت تنسيني سؤال زملائي في سفينتنا الموشكة على الغرق عن لونهم ولسانهم وعقيدتهم ومرتبتهم الاجتماعية وأكتفي بأخلاصهم في انقاذها فالى من منطلق حب الحياة وكراهية الموت نفسه أكتفي من الكردي المعاصر باخلاصه في انقاذ سفينتنا الموشكة على الغرق فاذا رفضت عقيدته السياسية أو مرتبته الاجتماعية حائلاً دون الاندماج في محاولة الانقاذ انقلب الى عدو لشعبه ومعاوناً لجلاديه فالأمم المهددة بالفناء اذا انشغلت بالافكار الداعية الى التفرق تكون ساعية في هلاكها بلا مواربة أو تأويل. ولكم ان تتصوروا جيشاً في خنادق القتال تنهال عليه قذائف العدو فينشغل ضباطه ومراتبه الى اكتشاف مابينهم من فروق طبقية وانتماآت اجتماعية وما الى هذه المبيدات من اختلاف في الدين والمذهب وفذوا لهذا مثلاً في لبنان وفلسطين وحاولوا ان تجدوا فيها بما لكم من القدرة على حسن التأويل والتبرير معنى غير هدم الذات والتنفيس عن العدو. فاذا أحبَّ الكردي أن يشق نفسه بخيوط مقدسة من الفروق في الطبقة والعقيدة اكراماً لفلسفات تمنح هذه الفروق خطورة في تفسير التأريخ فليبشر بيوم يتلو على الدنيا نبأً يقول: رحم الله أمة كانت تسمى كردا وارضاً تسمى كردستان اخذتها غورة الحماس في الانقسام على الذات وراحت شهية الهدم بالتناقض في وجه قول كان يدعو الى الاخاء واجب قومي يرجح البقاء. الى هنا نص

اقول لهذا من باب الانسياق مع منطق التفرق والدعوة الى التناحر بدلاً من الفروق للتنزيه الى جانب دواعي الوفاق لرد خطر الموت كما تنزيه

الحصاة الى جانب قلعة اربيل . أما عن خلود شعبنا فأن الكلام فيه تزيد لبديهية فوق مراتب المناقشة وقد كررت في ذلك قولي ومنه ما نشرته ضمن احدى مقالاتي في صيف سنة ١٩٦٠ اذ كتبت : والكرد جاز العصور التي كانت تسعى لاضمحلال الشعوب وترقين قيدها من سجل الوجود وهو اليوم حقيقة ستعصية على الفناء وتدرج على مهل في مرقاة مطردة التصعيد نحو ذرى تشهد منها الدنيا كما تشهد بزوغ النجم المحتوم في حكم طبيعة الأشياء .

ولكن التفرق سيظل سبيل الشعوب المشتتة الى الموت . وشر انواع التشتت ما كان قائماً على قدسية الآيديولوجيات . ولقد قلت في مناسبة منذ اكثر من ثلث قرن انه خير للانسان أن يعيش بلا تفسير من أن يموت موتا مفسراً .

لقد كفاني مقتا للتفرق المهلك في القضايا المصيرية ان نكون لما نزل مختلفين في بديهية من مثل شكل الألفباء الكردي وكيفية كتابة الجملة الكردية واسماء ايام الأسبوع وان نذب في بدايات تأسيس الكتابة الأدبية متعثرين : وكلها تفاريق المحنة القومية القديمة موزعة على جوانب حياتنا المختلفة المصابة بشلل الأطفال أهمل كثيراً على أن ألتقط بين الحطام المركوم من خمسة وعشرين قرنا مصباحاً هشمت الفجاجة منه الزجاجة وفتأت الذبالة إلا أنه في مشكاة من الفضل والحشمة فاذا جُلّيَ من صَدَئِهِ "يكادُ زيتُهُ يُضيءُ ولو لم تمسسْهُ نار" فان ذكراه لما تزل تشع في الشجرة المباركة على عشارف (خه تی) فهو نعم الصدر ونعم الجهبذ ونعم الفتى . [قرئ في مهرجان الشعر باربيل يوم ١٩٨٦/٩/١٠]